

الماثنين 17 ذو القعدة 1431 هـ الموافق لـ:

المحمد لله، والمصنّاة والمسّلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أمّ بعد:

فقد برز في مجتمع العرب عددٌ من النساء، اشتهر بعضهنّ بالحكمة ورجاحة العقل، وبعضهنّ اشتهر بالمتاجرة ووفرة المال..

أمّ خديجة رضي الله عنها فقد جمعت ذلك كلّ.

خديجة بنت خويلد بنت أسد بن عبد العزى بن قصيّ.. اسمٌ صار أشهر من ناز على علمٍ في رحاب الحسب والنسب والجمال..

وانضاف إليها كثرة ووفرة المال..

عُرِفَت في الجاهليّة بـ (المطاهرة)، حتّى كان الأشراف يتزاحمون على بابها، والمجموع يتشرف بأن يكون من خُطابها..

ولكنّها كانت ذات همّة عالية، ونفس غالية..

كانت لنا تبحث عن الرجولة في الصورة، بل كانت تبحث عن الرجولة في العقل والروح..

في تلك الأيّام، كانت تستأجر بعض من لهم خبرة بالتجارة لتُثمر مالها..

ومن طبيعة النساء أن يسألن عن سادات الرجال وكرمائهم، فتسمع أخبارهم وفي كلّ مرّة إذا حدّثوها عن شخصٍ ما تراها وكأنّها تقول: (فإنّا لكي لئلا نكلم عندي ولنا تقربون) [يوسف: من الآية 60]..

ولكن..

لفت انتباهها حديث الناس عن محمّد صلى الله عليه وسلم.. فشددتها سيرته..

وعليك - أخي المقارئ - أن تلاحظ كيف يكسب المرء الناس بأخلاقه، وحسن معاملته..

كان قد أخذ جل فكرها .. فلا بد من التجربة ..

فعرضت عليه صلى الله عليه وسلم أن يُتاجر بمالها إلى المشأم، وتُعطيه ما كانت تعطي غيره من الرجال ..

حُلْم كل شاب في ذلك الزمان .. أن يتخلص من أشواك المصحاري وصخور الجبال ..

زد على ذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان بين قوم يُعظّمون التجار، ويحتقرون رعاة الغنم ..

فقبل صلى الله عليه وسلم عرضها وخرج ليتاجر بمالها، يُرافقه غلام خديجة (ميسرة).

فعاد إليها غلامها بالرّيح وزيادة .. جاءها بما تصبو إليه، وتبكي عليه ..

جاءها بأوصاف تأخذ بالألباب، وتفتح إلى المسعادة كل باب ..

حدثها عن كرم أخلاقه، وصدقته وأمانته، ونبله وعبّته .. ولما شكّ - وهي المرأة الرّاجحة العقل - تعلم أنّ مثل هذه الأخلاق لا يذالها ابن بيئته
حياته في الميتم، ورعي الغنم، والفقر .. فأشرب قلبها حبه ..
، ولما تنتجها مثل

فأرسلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم قائلة: يا ابن عمّ! إنّني قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك في قومك.

فقبل النبي صلى الله عليه وسلم الزواج منها، وهي تكبره سنًا.

وهنا لا بد أن نعلم:

□- أنّه قد اشتهر أنّه صلى الله عليه وسلم كان حينئذ ابنَ خمسٍ وعشرين سنةً، وأنّها كانت بنت أربعين:

وهذا لا دليل عليه مع شهرته، وخاصة إذا تذكرنا أنّها كانت ولودا إلى ما بعد المبعثة، أي: ستلد له بعد خمس عشرة سنة أخرى، وهو سنّ يبعد فيه ذلك ..

والمصّواب: أن يقال: إنّها كانت أكبر منه دون تعيين لسنّها.

□ كما أنّه شاع أنّ الذي خطبها له هو عمّه حمزة رضي الله عنه من أبيها وأنّه قبل، وهذا باطل.

لأنّ أبائها كان معارضا لزوجها من النبيّ صلى الله عليه وسلم، ولكنّها بحبّها للنبيّ صلى الله عليه وسلم وبدكائها استطاعت أن تصل إلى مرادها.

وأصحّ ما جاء في زواجه صلى الله عليه وسلم منها هو ما رواه الإمام أحمد عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنه:

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ خَدِيجَةَ، وَكَانَ أَبُوهُا يَرْغَبُ أَنْ يَزُوجَهُ، فَصَنَعَتْ طَعَامًا وَشَرَابًا، فَدَعَتْ أَبَاهَا وَزَمْرًا مِنْ قُرَيْشٍ، فَطَعَمُوا وَشَرِبُوا، حَتَّى تَمَلُّوا، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ لِأَبِيهَا:

إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ خَطْبُنِي، فَزَوِّجْنِي إِيَّاهُ! فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ.

فَخَلَعَتْهُ وَأَلْبَسَتْهُ حُلَّةً - وَكَذَلِكَ كَانَ وَابِي فَعَلُّونَ بِالْأَبَاءِ - فَلَمَّا سَرِي عَنْهُ سَكَرَهُ، نَظَرَ فَإِذَا هُوَ مُخَلَّقٌ، وَعَلِيٌّ حُلَّةً، فَقَالَ:

مَا شَأْنِي؟ مَا هَذَا؟ قَالَتْ: زَوَّجْتَنِي مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ.

قال: أنا أزوجُ تيمم أبي طالبٍ! لعل عمري.

فَقَالَتْ خَدِيجَةٌ: أَمَا تَسْتَحِي، تُرِيدُ أَنْ تُسْفِهَ نَفْسَكَ عِنْدَ قُرَيْشٍ، تُخْبِرُ النَّاسَ أَنَّكَ كُنْتَ سَكَرَانَ!

فَلَمْ تَزَلْ بِهِ حَتَّى رَضِيَ.

وكتب الله تعالى أن تكون خديجة أول امرأة عرفها سيد ولد آدم .. خديجة التي كتب الله لها أن تكون أول امرأة أسلمت .. حتى إن المل ه كان يرسل إليها المس لام

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: هذه خديجة أتتك بإناء فيه طعم أو إناء فيه شراب فأقرئها من ربها المس لام وبشرها ببنت من قصب لاصب فيه ولانصب

وكتب لها أن تكون سيدة من سيدات العالمين، وجنات رب العالمين، فقد روى أحمد عن ابن عباس رضي الله عنه قال:

((أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران.))

وروى البخاري ومسلم عن علي رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

((خير نساءها مريم ابنة عمران، وخير نساءها خديجة.))

فمما اقتصت به سبقتها نساء هذه الأمة إلى اليمين، فسنت ذلك لكل من آمنت بعدها، فيكون لها مثل أجرهن، لما ثبت " أن من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها

وقد شاركها في ذلك أبو بكر الصديق بالنسبة إلى الرجال، ولما يعرف قدر ما لكل منهما من الثواب بسبب ذلك إنا الله عز وجل.

وكتب لها أن تكون أول من واسى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأيده وصدقته ..

وكتب الله أن تلد نبيه صلى الله عليه وسلم ولده كلّه إنا إبراهيم [1].

والمتفق عليه أنها ولدت له:

1 [1] - المقاسم، وبه يُكنى صلى الله عليه وسلم، وقد مات صغيراً قبل المبعث أو بعده بقليل.

2 [2] - (عبد الله)، ويُلقَّب بالطاهر والمطيّب، ولد بعد المبعث، أي بعد خمسة عشرة سنة على الأقلّ.

وبناته الأربع:

3 [3] - زينب.

4 [4] - ثمّ رقيّة.

5 [5] - ثمّ أمّ كلثوم.

6 [6] - ثمّ فاطمة.

وكلهن أسلمن، وهاجرن معه، وتوفين في حياته إلاً فاطمة رضي الله عنها، ماتت بعده.

ومما كفا النبي صلى الله عليه وسلم به خديجة في الدنيا أنه لم يتزوج في حياتها غيرها، فقد روى مسلم عن عائشة قالت:

"لم يتزوج النبي صلى الله عليه وسلم على خديجة حتى ماتت."

فصان قلبها من الغيرة ومن نكد المضرائر، وتلك خصلة لم يشاركها فيها غيرها.

[\[1\]](#) فأمه مارية القبطية، من صعيد مصر، أهداها إليه الموقس عظيم القبط.